مدخل الى القران الكريم
(الجزء الاول) في التعريف بالقرآن

.باحث : آمال ياسين جبار
قسم الدراسات اللغوية والادبية
مركز دراسات الخليج العربي

للمؤلف الدكتور
محمد عابد الجابري

اللافت للإنتباه في هذا الكتاب هو الإهداء الذي تحدث فيه الكاتب عن نفسه بقوله بأنه ليس من الأشخاص الذين تعودوا اهداء كتبهم قائلاً :(ليس من عادتي اهداء كتبي !) ويذكر أن الذين يستحقون منه اهداء كانوا دائمآ في ذهنه الا انه كان يتردد ثم يحجم لانه كان يرى نفسه كما يقول امام موقف لايرتاح له إما إهداء كل كتاب يصدر هذا لفلان وذاك لفلان او تكرار نفس الإهداء في كل مرة .

ويبدو ومن خلال هذا الإهداء ان الذي دفع الكاتب الى إهداء هذا الكتاب للأشخاص الذين يعدهم اكثر استحقاقاً من غيرهم هو تميز هذا الكتاب كونه يحمل في عنوانه اسم القرآن الكريم وهذا مايدل على ان الكاتب ادخر إهداءات كتبه وأهدى هذا الكتاب المميز كما يقول الى أشخاص يستحقونه وهو دليل على اعتزازه الكبير بهم .

ابتدأ اهداءه بزوجته التي شاركته معاناة الحياة وحملت معه أعباء البيت والاولاد ثم الى صديقة الاسرة د. فريدة العلاقي التي كانت تعينه صحيأ والى الرجل الذي ساعده منذ اواسط الثمانينيات في القرن الماضي في كل مايخص حالته الصحية مما أدى الى استقرار قدرة الكاتب على البحث العلمي والذي يلقبه الكاتب (بالأمير المختلف) طلال بن عبد العزيز . ويتضمن الإهداء الشكر والامتنان لمركز دراسات الوحدة العربية بيروت في شخص المدير العام د. خير الدين حسيب والى جميع قرائه الاعزاء معتذرا لهم عن تقصيرة في الرد على رسائلهم على البريد العادي والبريد الالكتروني والمكالمات الهاتفية .

يتضمن هذا الكتاب تقديم ومن ثم مقدمة اما التقديم فهو هنا يمثل الخلفية التي تؤطر هذا الكتاب وماهي دواعي كتابته هذا الكتاب وكيف تكونت الفكرة عند الكاتب لتأليف مثل هذا الكتاب

بالتاكيد لابد من وجود مناسبات واسباب مر بها الكاتب كانت عاملا مساعدا في دفعه على البدء في تأليف هذا الكتاب وبالذات هذا العنوان (مدخل الى القرآن الكريم) .

ويبدو أنه كان منشغلاً بتأليف كتاب من أربعة أجزاء بعنوان (نقد العقل العربي) قبل أن يبدأ بتأليف كتابه الذي نتحدث عنه وهو يشير الى المجال الذي يمكن أن يتحرك فيه بأنه صعب وسهل في ان واحد يقول ((سهل لانه بالامكان القول انني أتحرك هنا كما في ((نقد العقل العربي)) داخل رحاب التراث العربي الإسلامي وهو صعب لانني لاأستطيع _ الان على الاقل _ أن أتبين بوضوح هل الخوض في هذا الموضوع هو بمثابة تأسيس لما سبق أم أنه أشبه بـ((ذيل وتكمله)) .

الأمر هنا مختلف عنده فهو أقدر على تأليف مثل هذا الكتاب وبهذا العنوان بعد تأليف كتابه ((نقد العقل العربي)) وهو يجد نفسه يملك مفاتيح التأليف في مثل هذا الموضوع بتميز أكثر مما لو قام بتأليفه قبل ذلك .

بدأ المؤلف الكتابة في التراث بمقالات فلسفية وقام بجمعها بعد ذلك في كتاب ((نحن والتراث)) وعند كتابته لمقدمة هذا الكتاب خطر له تأليف كتاب في ((نقد العقل العربي)) وبعد كتابته قام الكاتب بفصله الى جزئين الاول في ((التكوين)) والثاني في ((البنية)) وعند الانتهاء من خاتمة هذا الكتاب وجد الكاتب نفسه امام موضوع ((العقل السياسي العربي)) وعند مراجعته كما يقول وجد أن الأخلاق جزءا من السياسة في الفلسفة فألف كتاب ((العقل الأخلاقي العربي)) أما الكتاب الذي نحن بصدده فقد كان مقترحاً من قبل أحد الأصدقاء إقترح هذا الصديق قائلاً ((لماذا لايكون الكتاب المقبل في القرآن)).؟

فكانت فكرة تأليف هذا الكتاب بعد أحداث أيلول سبتمبر (2001) فهذا الحدث جعل الكاتب ينصرف لتأليف كتابه ((مدخل الى القرآن)) معرفاً به القارىء العربي الاسلامي وحتى الأجنبي بتعريف بعيد عن ((التوظيف الايديولوجي والإستغلال الدموي الظرفي من جهة ويفتح أعين الكثيرين ممن يصدق فيهم القول المأثور ((الإنسان عدو مايجهل)) على الفضاء القرآني كنص محوري مؤسس لعالم جديد كان ملتقى الحضارات وثقافات شديدة التنوع بصورة لم يعرفها التاريخ من قبل ، عالم مازال قائماً الى اليوم هو ((العالم العربي الاسلامي)) .

ويبدو ان المؤلف في هذا الكتاب عندما ربط بين الكتاب والأحداث مابعد أيلول سبتمبر (2001) كان يقوم ((بقراءة بعدية)) لما أُنجز ولم تشغله تلك الأحداث والتطورات ((فلم يحدث ان أقحمت انطباعاتي عنها وردود افعالي ازاءها في المؤلفات التي اتحدث عنها هنا)) .

أما المقدمة التي طرحها في كتابه ((مدخل الى القرآن)) فقد تضمنت مايأتي : _

1- التعريف بالقرآن والتطرق الى نماذج من التعريفات
2- مسار الكون والتكوين .
3- ابعاد الظاهرة القرآنية .
4- المصادر وتعدد الرويات .
5- التجربة الروحية كمعاناة مع المطلق .
6- القرآن بوصفه معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا .

اولاً : التعريف بالقران والتطرق الى نماذج من التعريفات :

يشير الى بعض التعريفات التي تخص القرآن الكريم وهو قبل ذلك يطرح سؤالاً / هل يحتاج القرآن الى تعريف ؟ ويعرض لنا بعض التعريفات واعطاء فكره عن المراد تعريفه ببيان صفاته ومميزاته اوتحديد ماهيته ومن النماذج التي ذكرها انه هذا النص ((الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم)) هذا النوع من التعريف يشير الى ماهو حاضر في المجال البصري او الذهني للمخاطب تعريف آخر يشير الى صورة القرآن كما هي في ذهن المسلم وفي الغالب كما ورثها من محيطه الثقافي يقول ((القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى نزل به جبريل (عليه السلام) على نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وهو المكتوب في المصحف المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس)).

ويقول المؤلف ان الفارق بين هذا التعريف والذي سبقه هو وصف القرآن بانه ((كلام الله نزل به جبريل)) . وكذلك يتطرق الى تعريف القرآن نفسه بنفسه من خلال قوله تعالى ((وإِنَّهُ لتنزيلُ ربِّ العالمين نَزَلَ به الروح الأمين على قَلْبِكَ لِتَكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍ مبين وأَنَّه لفي زبر الاولين)) الشعراء أيه (192-196) وقوله ((نَزَّلَ عَلَيْك الكِتَابَ بالحَقّ مُصَدّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإنْجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاس وأَنْزَلَ الفُرْقَانَ)) ال عمران االايه (3-4) وقوله ((وقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ على النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)) سورة الاسراء ايه 106.

ثانياً :_ مسار الكون والتكوين :

يعرض هذا((العنوان)) القرآن الكريم من حيث مراحل نزوله وهو يبين الفرق بين القرآن والكتاب المقدس (التوراة والانجيل) فالقرآن نزل بصورة متدرجة ومرحلية وحري بنا فهم المراحل التي قطعها القرآن حتى وصل الينا كما هو عليه الان ((ان هذا النوع من التعامل يهتم بالتعرف على كيان النص وذلك من خلال رصد عملية نموه الداخلي من جهة ومن خلال تتبع الكيفية او الكيفيات التي تم التعامل بها معه خلال مسيرته نحو اكتمال وجوده بين الناس كنص نهائي مصون عن الزيادة والنقصان)) وهو بذلك يختلف عن الكتاب المقدس والذي كما يقول عنه الباحثون الاوربيون بأنه ساهم في تأليفه كتاب كثيرون من رجال دين وغيرهم واولهم موسى عليه السلام . لذلك فان اسئلتهم ونظرتهم كما يقول الباحث سوف تختلف قطعاً.

ثالثاً : _ ابعاد الظاهرة القرانية :

تُحدد ابعاد الظاهرة القرآنية بأبعاد ثلاثة :

الاول : وهو بعد زمني فالقرآن هو وحي الله الذي نزل به جبريل على قلب النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وكان هذا القرآن استمرار للرسالات السماوية السابقة بقوله تعالى ((والذيأوْحينا اليكمن الكتاب هوالحق مصدقاً لمابين يديهِ)) أي التوراة والانجيل .

اما البعد الاخر فهو البعد الروحي : وهو يمثل تجربه تلقي النبي (ص) لنزول الوحي ((نزَّل به الروح الامين على قلبك))

والبعد الاخر هو البعد الدعوي :ويتمثل في تبليغ الرسالة السماوية ونشرها للناس .

رابعاً : حول المصادر وتعدد الروايات :

تُعدُّ الروايات هي المادة التي تتكون منها المصادر الاسلامية وهذه الروايات ينتابها الاختلاف والتناقض وهذا الاختلاف يدل بالتآكيد على وجود حقائق كما يشير المؤلف (اذاً لن نقف من مضمون الرويات التي تتحدث عن الظاهرة القرانية _ اقصد عن مضمونها العام ، موقف الشاك _ خصوصا عندما يتعلق الامر بمن حضروا الواقعة التي يتحدثون عنها او سمعوا ممن حضرها .

اما شكل الرواية ، اعني مايلفها من عبارات تعبر عن ((الموقف الذاتي)) الخاص براويها (كعبارات التعظيم والمبالغة ومااشبه) فأننا سنغض الطرف عنها تماماً ، ليس لأننا نطعن فيها او ننكر على صاحبها حقه في التعبير بالطريقة التي يشاء _ بل لان مايهمنا هو ماينتمي الى الواقعه

نفسها من دون تدخل خارجي . ان خطابنا هنا لن يكون خطاب دعوة ولا خطاباً مضاداً لأية دعوة . أنه خطاب ينشد التعبير عن الحقيقة كما تبدت لنا من خلال موقف حيادي موضوعي من الوقائع وتعامل نقدي مع المصادر.

خامساً : التجربة الروحية كمعاناة مع المطلق :

لا يعد الكاتب القرآن جزأً من التراث كما هو الحال في أنواع الفهم التي وضعها علماء المسلمين والتي تنتمي إلى التراث البشري وهو مايوكد على أن لكل مقام مقال فموضوع البحث متعلق بـ ((الظاهرة الدينية)) وهي تختلف عن الظواهر الأخرى كونها ((تجربة روحية)) أما التجربة الروحية فهي على الأقل كما يصفها أصحابها معاناة مع المطلق تقع وراء الحس والمحسوس والعقل والمعقول وغني عن البيان القول أن تجربة النبوة هي أعلى قمم التجارب الروحية .

وفي هذا الجانب يكون صاحب هذه التجربة نبياً فقط إذا اقتصرت المعاناة على دواخله فقط ويكون نبياً رسولاً عندما يقوم بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس وان يكون صادقاً اميناً مخلصاً مع نفسه ومع مخاطبيه دون أن ينتظر مقابلاً وفي حال كان لايتصف بهذه الصفات فهو سيكون أما شاعراً أو ساحراً اوكاهناً اومجنوناً فهو هنا((مدعٍ بالنبوة)).

سادساً : القرآن بوصفه معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا :

يحدد الكاتب لنفسه هنا منهجاً ورؤية ومن أهم ركائز هذا المنهج هي الرؤية أي ((جعل المقروء معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا في الوقت نفسه)) وبما أن الأمر يتعلق بالقرآن ((فأن أحسن طريق إلى تطبيق هذا المنهج الرؤية في التعامل معه هو في نظرنا ذلك المبدأ الذي نادى به كثير من علماء الإسلام ، مفسرين وغيرهم وهو أن (القرآن يشرح بعضه بعضاً))).

يقسم هذا الكتاب على ثلاثة أقسام :

القسم الأول :يتضمن قراءات في محيط القرآن الكريم وهو يتحدث في وحدة الأصل في الديانات السماوية الثلاث وعن الجدل القائم بين المسيح والإسلام حول التبشير بالنبي الأكرم محمد (ص) في الديانات التي تسبق الإسلام والتي أكد القرآن هذه البشري في الآية الكريمة ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)) سورة الاعراف ايه (157) وقوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)). سورة الصف آية (6)

ويتحدث هذا الفصل عن المسيحية وجذورها وماهي الفرق التي ظهرت وتفرعت عن المسيحية والمعتقدات التي آمنت بها وكيف قامت بالتبشير بهذه المعتقدات ونظرة الكنيسة لهذه الفرق المتفرعة عن المسيحية فالنصارى لهم معتقداتهم وموقفهم من مبدأ التثليث .

لقد اثارت هذه النظرية ((نظرية التثليث)) اليهود الذين كانوا يؤمنون بعيسى وقالوا نحن (انصار الله) والذين اشار اليهم القرآن في قوله تعالى ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي اسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ)) سورة الصف ايه(14) وهكذا سميت الطائفة التي آمنت بعيسى ونصرته بإسم ينطبق على اختيارهم وهو ((النصارى)) وقد حاربهم خصمومهم أصحاب التثليث وأطلقوا عليهم لقب ((الابيونيين)) أي الفقراء فكرياً ونظرياً تشهيراً بهم وتحقيراً وهكذا رفضت الكنيسة مبدأ التوحيد عند النصارى فكان لابد من ان تبتعد هذه الفرقة عن الجدل في كون المسيح ليس الهاً لتطرح فكرة النبي المنتظر الذي بشرت به بعض الاناجيل . وقد اكد القرآن الكريم بوضوح على الارتباط بين الدعوة المحمدية ودين ابراهيم والايمان برسالات جميع الرسل في ذلك قوله تعالى ((قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ")) (سورة البقرة ايه 136) وقوله تعالى ((مَا كَانَ إِبراهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصرانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ . إِنَّ أَولى النَّاسِ بِأبراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِي المُؤمِنِينَ)) (سورة ال عمران الايتان 67-68)

اما نظرة القرآن الكريم الى المسيحية وموقفه من مبدأ التثليث الذي اتخذته الكنيسة الرسمية عقيدة لها فقد تجسد بقوله تعالى "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ" (المائدة الايه 73)وقوله تعالى "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ"(المائدةايه 75)

ويتطرق القسم الاول في الفصل الثاني الى (الدعوة المحمدية وعلاقاتها الخارجية) ويشير في هذا المضمار الى علاقة الدعوة المحمدية بملك الحبشة .

تعرض اصحاب النبي الاكرم محمد (ص) الى الأساءة من قبل قريش وكان لابد لهم من ملاذ آمن وبلاد يستطيعون فيها ان يمارسوا طقوسهم الدينية بعيداً عن الاذى فبعدما تعرضوا للاضطهاد والمحاصرة في شعب الجبل المطل على مكة فتح النبي باب الهجرة لأصحابه الى الحبشة قائلاً لأصحابه الذين اشتد عليهم اذى قريش : "لو خرجتم الى ارض الحبشة ايام تولي بني هاشم جدود النبي الزعامة في مكة وتحديداً جدهم قصي بن كلاب جدهم الاول حيث كانت مكة

مركزاً مهماً دينياً وتجارياً وكانت قريش لها رحلتان هما: رحلة الصيف الى الشام ورحلة الشتاء الى اليمن وكان من بينهم عبدالمطلب الجد المباشر للنبي محمد (ص) والذي كان له تعاقد مع صاحب اليمن (ممثل ملك الحبشة) وقد تعرض القرآن لرحلات قريش التجارية بين الشام واليمن بقوله تعالى "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" (سورة قريش الايات 1-4)

فضلاً عن المراسلات التي كانت بين النبي (ص) وبين النجاشي الذي كان يعتنق ديناً قريباً من الاسلام والذي ادى فيما بعد الى اعلان اسلامه من هنا يتضح لنا عمق العلاقة بين النبي الاكرم (ص) وبين النجاشي ملك الحبشة وكذلك الرسالة التي بعث بها النبي الى هرقل ورسالة النبي الى المقوقس يدعوهم فيها للدخول تحت لواء الدعوة المحمدية .

اما الفصل الثالث في القسم الاول ففيه اشارة وتساؤل النبي الامي:هل كان يقرأ ويكتب؟ وماذا تعني كلمة امي.؟

الحديث في هذا الفصل عن ما اذا كان النبي محمد (ص) يعرف القراءة والكتابة ! في هذا المجال تتحدث الروايات عن الوحي عندما نزل على النبي محمد (ص) وقال له "اقرأ" قال النبي: ما اقرأ ؟ فقال :اقرأ قال النبي قلت:ما اقرأ ؟ فقال:اقرأ قال: قلت : ماذا أقرأ ؟ فقال اقرأ ؟ قال النبي فقلت :ماذا اقرأ ؟ (ويضيف النبي ما اقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال: " إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " (سورة العلق الايات 1-5) قال النبي فقرأتها ثم انتهى فأنصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً " رواية ابن اسحاق .

الحديث هنا عن الاختلاف بين صيغة جواب النبي لجبريل في رواية ابن اسحق وروايات الطبري من جهة "ما أقرأ " ؟ " وماذا أقرأ " والصيغة الواردة في رواية البخاري "ما أنا بقارىء ! " هل هي إستفهام أم نفي؟

الصيغة الاولى استفهام يفيد ضمنياً ان النبي يعرف القراءة فهو يطلب ماذا يقرأ ؟ اما الصيغة الثانية فهي تنفي عنه معرفة القراءة : ما انا بقارىء!

ويستمر المؤلف بقوله غير ان عبارة " ماذا أقرأ " ؟ التي تكررت في روايات ابن اسحق والطبري لا يمكن حملها الا على الاستفهام ومن ثم يكون رد النبي على جبريل اسفساراً عن ما يريد ان يقرأ وليس نفياً لمعرفة القراءة .

وقد وردت آيات في القرآن الكريم تصف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه " امي " واخرى تصف العرب وبعض الذين يدعون انهم من اهل الكتاب بـ" الاميين " قوله تعالى"الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والانْجيل " (سورة الاعراف الايه 157)المقصود النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقوله تعالى "وَمِنْهُمْ أُمِّيونَ لايَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ وأَنْ هُمْ إلا يَظُنُّونَ" (سورة البقرة الايه 78) المقصود أُناس من العرب اعتنقوا اليهودية ولاعلم لهم بالتوراة وانما يختلقون كلاماً ويقولون انه من التوراة وقوله تعالى " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمْ الكِتَابَ والحِكْمَةَ "(الجمعة الاية 2). والمقصود العرب .

ويستمر الحديث في القسم الاول في احد فصوله عن حدث الوحي : وهي الروايات التي تروي مشاعر النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) وعن بعض الوقائع التاريخية .

" هناك عدد كبير من الروايات التي تنقل الينا وقائع بداية الوحي المحمدي ومشاعر النبي ازاءه ، روايات ترددها مصادرنا القديمة والحديثة، بصيغ متشابهة " هناك عدد من الروايات التي صادفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل نزول الوحي من هذه الروايات مايؤكد " انه كان يكره الاصنام، ولايقبل القسم بها ولا الاقتراب منها " وقد طلب منه عمه ابو طالب ان يحضر احتفالاً كانت تقيمه قريش كل سنه لآلهتها فامتنع عن الذهاب . ثم نزول الوحي ومارافق ذلك من الطلب منه ان يقرأ فرد النبي (ص) " ماذا أقرأ " او " ما أنا بقارىء " .

ويوضح المؤلف ان النبي واجه خلال تلك الفترة اتهامات من قريش له وقد كان عمه ابو لهب من ألد خصومه ويُقال ان أمراته كانت تنشر الشوك في طريقه ايذاءً له وقد ذكره القرآن بقوله تعالى " تَبَّت يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ومرأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبلٌ مِن مَّسَدٍ " (المسد الاية1-5).

ويتساءل عن عدم استجابة قريش للدعوة المحمدية ويقول ان احد الاسباب هو حيرة قريش امام الخطاب القرآني مما ادى الى اتهام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه ساحر ومجنون وقد رد عليهم القرآن في عدة آيات منها قوله تعالى " وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ "(ص الاية 4) . كما ويتحدث هذا القسم عن حقيقة النبوة والرأي في الامامة والولاية ويتطرق هنا الى النبوة والولاية الشيعية التي هي ولاية سياسية ودينية وماذهب اليه المذهب الشيعي في تفسير العصمة للأنبياء والأولياء (فالولاية في تصورهم سلطة الهية خص الله بها الأنبياء والأولياء سواء بسواء " .

القسم الثاني من الكتاب :

اما القسم الثاني من الكتاب فيشمل (القرآن : مسار الكون والتكوين) يلخص في هذا القسم الحديث للوقوف على عتبات "الذكر الحكيم" بقصد التعرف ليس على محتواه بل التعرف على مسار كونه وتكوينه منذ ابتداء نزوله منجماً الى ان انتهى الى المصحف الذي بين ايدينا الآن" .

ونذكر في هذا السياق جملة معانٍ للفظ " القرآن " الفريق الاول يقول ان لفظ " القرآن " غير مهموز (= قرآن) بمعنى اته ليس في القراءة وهو اسم علم (غير مشتق) لكتاب الله مثلما ان التوراة اسم علم لكتاب موسى.

اما الفريق الثاني فيرى العكس من ذلك ان لفظ " القرآن " مهموز ولكنهم اختلفوا في صيغته : منهم من قال : هو وصف على فُعلان مشتق من "الُقرء" بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته وبناءً على هذا قال بعضهم " وسمي (القرآن) بذلك لأنه جمع السور بعضها الى بعض " والقرآن في اللغة من قرأ يقرأ قراءة وقرءاناً قوله تعالى "اقرأ بإسم ربك " وقوله تعالى " لاَ تُحَرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَينَا جَمعَه وقُرآنَهُ فَأَذَا قَرَأنَاهُ فَأتَّبِع قُرآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَه "(القيامة الاية 19).

اما لفظ " ذكر " و" ذكرى " و " تذكرة " اسماء للقرآن قبل ان يسمى قرآناً ورد في عدد من الآيات منها قوله تعالى " فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى " (الاعلى الاية9) وقوله تعالى " فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الحَيَاةَ الدُّنْيا " (النجم الاية 29) والمقصود بذكرنا آيات الذكر الحكيم ".

وسميت آيات القرآن (بالحديث) ايضاً وقد اطلقت لفظة " الحديث" على الوحي المحمدي لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يُحدث به اصحابه كقوله تعالى " هَذا نَذِيرٌ مِن النُذرِ الأُولَى أَزِفَتِ الآزِفَةُ لَيسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ أَفَمِن هَذا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وتَضْحَكُونَ وَلا تَبكُونَ وَأَنتم سامِدُون . فَاسجدُوا لِلَّهِ واعبُدُوا " (النجم الآية 62).

بعد " الذكر" و "الحديث" هناك لفظ " القرآن" قوله تعالى في الرد على الذين كذبوا بما جاء به الوحي من اخبار الامم السابقة "بل هُوَ قرآنٌ مجيد في لوحٍ محفوظٍ " اما اول سورة حسب ترتيب النزول يذكر فيها لفظ "القرآن" فهي سورة القيامة قوله تعالى مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "ولا تُحَرك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَل بِهِ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وقُرآنَهُ فَأَذَا قَرَأنَاهُ فَأتَبَع قُرآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ" (القيامة الاية 19) وهكذا حدث التدرج في هذه الكلمة من المعنى اللغوي الذي يعني مجرد القراءة الى المعنى الشرعي الذي يعني كلام الله المقروء بلسان عربي مبين.

اذن لفظ "القرآن" وهو اسم للوحي اما الاسماء السابقة فهي ستكون اوصافاً للقرآن الا ان الارتباط بين الذكر والقرآن سيبقى كما في قوله تعالى "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدِّكِرٍ" (سورة القمر) وقوله تعالى "ص والقُرْآنِ ذي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ"(ص الاية 2) .

فضلاً عن ذلك فان القرآن هو قرآن الذكر والقص وهو الاخبار عن الاقوام السابقة.

قوله تعالى "كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا" (طه الايه 99) فهو بمعنى (القص).

كما يوضح هذا القسم ان الامة اصبحت امة لها كتاب لينقلها من امة " أُمية " الى امة لها كتاب " وفي الوقت نفسه تجعل حد لاحتكار اليهود والنصارى للقب (اهل الكتاب) انها عملية مزدوجة تتطلب اعادة ترتيب العلاقة مع قريش من جهة ومع اهل الكتاب من جهة اخرى " قوله تعالى " ولقد جئناهم بكتاب فصَّلنْاه على علم هدىً ورحمةً لقومٍ يومنون " وهو كتاب فرقان بلسان عربي مبين يفرق بين الحق والباطل قوله تعالى "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ على عبدِهِ لِيَكونَ لِلعالمينَ نذيراً الذَّي لَهُ مُلكُ السَّمَواتِ والأَرض ولَم يتَّخذ وَلَداً ولَم يَكُن لَّه شَرِيكٌ فِي المُلكِ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقديراً واتَّخَذُوا من دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخلُقُونَ شَيئاً وَهُم يُخلَقُونَ ولا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِم ضَراً وَلا نَفعاً ولا يَملِكُونَ مَوتاً ولا حَياةً ولا نُشُوراً " (الفرقان ايه 3)

اما الفرقان الثاني فيأتي للرد على المشركين الذين كذبوا محمداً وقالوا عن القرآن انه اساطير الاولين ينقلها من كتب اهل الكتاب الذين كان يجلس معهم ويحادثهم امام الملاء قوله تعالى " وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً" (الفرقان الايتان 4-5) ورد القرآن عليهم بقوله تعالى (النحل الايتان 103-104) ومما تجدر الاشارة اليه إن القرآن نزل بلسان عربي مبين وانه لو كان أعجمي لما فهمه العرب قوله تعالى "وَلَو جَعَلْنَاه قُرءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَولا فُصِّلَت آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ "(فصلت ايه 44) وقوله تعالى "وَلَو نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤمِنِينَ" (الشعراء الايتان 198-199)ويتطرق هذا القسم ايضاً الى القراءات السبعة والاحرف السبعة وهو يذكر في هذا الصدد معنى قول الطبري " اختلاف القراء انما هو كله حرف واحد من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن وهو الحرف الذي كتب عليه المصحف " وذلك رداً على من قال ان " الاحرف السبعة " هي نفسها " القراءات السبعة " .

" اذن" الاحرف السبعة " ترجع الى زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اما القراءات فترجع الى زمن توزيع نسخ من المصحف العثماني على الامصار لقد تعددت القراءات اذن بتعدد أوجه قراءة القراء الذين ارسلوا للأشراف على القراءة من مصحف عثمان . وخوفاً من ان يتسع مدى هذا التعدد بانتشار الصحابة " في الآفاق " من خلال الفتوحات والهجرات المتعددة برزت الحاجة الى ضبط القراءات وحصرها فنشأ من ذلك مايطلق عليه " علم القراءات "

اما القسم الثالث: القصص في القرآن الكريم :

يطرح الدكتور محمد عابد الجابري تساولاً مفاده " ما علاقة القصص القرآني بكتاب (التعريف بالقرآن) ويجيب أن القصص القرآني هو بمثابة مرآة ترى فيها الدعوة المحمدية نفسها ماضيها وحاضرها ومستقبلها عبر " التاريخ المقدس " تاريخ الانبياء والرسل " .

وكما نعلم ان القصص القرآني كما هو معروفُ يتعامل معه على انه قصص للانبياء والقصد من هذه القصص هو من أجل بث الدعوة وهذه القصص تشير الى الدعوة الإسلامية بما يناسب تلك الدعوة وليس فقط هي قصص للأنبياء وإنما هي أمثال لاتخاذ العبرة والموعظة قوله تعالى " فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ" (الاعراف الايه 176-177)ولايهنا هنا مسألة العلاقة بين القصص القرآني والحقيقة التأريخية والتي تشغل الدارسين في الوقت الحاضر فهو ليس كتاب للقصص أو التاريخ وانما هو كتاب لنشر الدعوة والدين ولاخذ العبرة من هذه القصص والاستفادة منها .

وتبدو القصص في القرآن الكريم (القرآن المكي) وصنفه الى صنفين قصص اهل القرى كقوله تعالى في قصة ثمود والذين كذبوا الرسل "كَذَّبت ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ اشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا "(الشمس الايات 11-15) .

فضلاً عن التنويه بالانبياء السابقين قوله تعالى "كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً "(طه الايه 98-101)

اما المرحلة الثانية من القصص القرآني فهي تشتمل على قصة موسى وفرعون وفيها اعتماد على النص القرآني نفسه وتقسيمه الى فقرات ليعرف القارىء بدقة تفاصيل هذه القصة وشرح بعض الكلمات التي تحتاج الى شروح اما المرجعية في دراسة هذه السورة هي سورة الاعراف ثم يعرض بعد ذلك مما ورد في السور الاخرى حسب ترتيب النزول دون التقيد بالتسلسل الزمني

لاحداث القصة ويتم استعراض هذه القصة في سورة الاعراف بذهاب موسى الى فرعون يطلب بني اسرائيل القبول بدعوته ثم بعد ذلك يقترح قوم فرعون امتحاناً لموسى بقوله تعالى "قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" (الاعراف الايه109-112)

ثم يؤمن السحرة بموسى ويتوعدهم فرعون بالعذاب ثم توعد بني إسرائيل بالقتل كما جاء في قوله تعالى "وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (الاعراف الايه 1127)ويستمر في عرض السورة الكريمة بهذا الشكل للتعريف بها للقارىء وتقريبها من ذهنه .

وبعد ذلك الحديث عن قصة موسى في السور التالية كسورة طه والشعراء وسورة القصص فضلاً عن أن هناك في القصص القرآني قصص مستقلة بمعنى إنها لاتوزع على السور بل هي قصص مكتملة في سورة في القرآن مثال ذلك قصة مريم في سورة مريم وقصة يوسف وقصة أهل الكهف في سورة الكهف وقصة ذي القرنين .

أما المرحلة الثالثة من القصص القرآني فهي تشتمل على الجدل مع أهل الكتاب ونذكر في هذا قوله تعالى "وَلاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلابِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وأُنزل إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحد وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ" (العنكبوت الاية 46)

النبي والقران علاقة حميمة :

أما الخاتمه فهي تلفت الإنتباة الى العلاقة الحميمة التي تربط النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بالقرآن فالآيات القرآنية هي وحي يُوحى إليه من الله وهي لاتخلو من أسباب أستوجبت نزولها . وأسباب النزول هذه كما يصفها الكاتب " قد تكون خواطر جالت في نفس الرسول وقد تكون أسئلة طرحها عليه خصومه أو صحابته أو مطلق الناس كما قد تكون تأكيداً وإستحساناً لموقف ، أو شجباً واستنكاراً .....الخ ".

" العلاقة بين النبي والقرآن علاقة حميمة ، علاقة يومية بل لحظية ولكنها بقيت تتحرك دوماً في حدود المعقول . فلم يكن القرآن يُفرط في مدح الرسول وإمتداح مواقفه ، بل كان ذلك يتم في إطار الطبيعة البشرية للرسول " .